

المكان وعلاقته بالعناصر السردية في رواية "حائط المبكى" لعز الدين جلاوي

The place and its relationship to the narrative elements in a novel "The Wailing Wall" by Ezz El-Din Jalawy

كمال محمودي¹

kamel mahmoudi¹

¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر) مخبر الخطاب الصوفي، mah.kamel18@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/12/31

تاريخ القبول: 2021/12/13

تاريخ الاستلام: 2021/12/11

ملخص: يرتبط المكان بمختلف العناصر السردية للرواية، حيث يتكاثف معها ويتشابك لإرساء دعائم العالم الروائي، فالمكان لا يمكن أن يعيش منعزلا كما يقول حسن بحراوي فهو في تفاعل دائم بين المكونات الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والزمان وهذا ما لمسناه من خلال رواية "حائط المبكى" لعز الدين جلاوي.
الكلمات المفتاحية: المكان، العناصر السردية، الرواية، حائط المبكى، عز الدين جلاوي.

Abstract: the place is linked to the various narrative elements of the novel, as it condenses with them and intertwines to establish the foundations of the fictional world, as the place cannot live in isolation, as Hassan Bahrawi says, as it is in a permanent interaction between the other components of the narrative such as characters, events and time, and this is what we have seen through the Wailing Wall novel by Izz al-Din Glowy.

Key words: Place, items, Narrative, novel, Ezz El-Din Glaouji.

1. مقدمة:

تتكون الرواية من عدة عناصر (الزمان، المكان، الشخصيات، اللغة، الحدث) ولكل عنصر من هذه العناصر أهميته وعلاقته بالعناصر السردية الأخرى حيث تجمعهم علاقة تأثير وتأثر، إلا أنّ المكان يكتسب في الرواية أهمية كبيرة لا لأنه أحد عناصرها الفنية والمكان الذي تجرى فيه الحوادث وتتحرك من خلاله الشخصيات فحسب بل لأنه في بعض الأعمال المتميزة يتحول إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها من حوادث وشخصيات ومنه يمكن صياغة الإشكالية كالتالي: ما علاقة المكان بالعناصر السردية الأخرى في رواية "حائط المبكى" لعز الدين جلاوجي؟

2. علاقة المكان بالحدث:

يعتبر الحدث من بين عناصر النص الروائي، وهو المحور الأساسي التي ترتبط به باقي عناصر الرواية ارتباطاً وثيقاً، ذلك أن الرواية "مكونة من أحداث تنسجها أطر زمكانية وتؤديها شخصيات." (1) حيث توجد هناك علاقة تلازمية بين تعدد الشخصيات والأمكنة والحدث هو: "مجموعة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيباً سببياً، تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية وتكشف أبعادها." (2) فالحدث جزء من حياة الإنسان وهذه الأحداث هي التي تكون شخصية الإنسان من حيث اكتسابه للخبرات والتجارب.

وليس هناك من طريقة يتبعها السارد في عرض أحداثه فقد يبدأ قصته من أول أحداثها ثم يتطور شيئاً فشيئاً بهذه الأحداث والشخصيات حسب المنهج الزمني، وقد يبدأ القصة من نهايتها ويعود إلى الخلف لنكتشف الأسباب والأشخاص. فالأحداث في رواية حائط المبكى بنيت بطريقة معقدة لا تخضع لترتيب زمني خاص، بالإضافة إلى أنها جمعت بين التداخل والتشابك بين الأحداث ومن بين الأحداث الرئيسة في رواية "حائط المبكى" نذكر:

- لقاء السارد مع سمرائه في نادي مدرسة الفنون الجميلة.

- الجريمة التي وقعت وكان شاهداً فيها.

- السفر في رحلة على المغرب.

- سرد بطل الرواية زواجه بالسمراء.

- وفاة الأب في ظروف غامضة.

- سرد الفنان التشكيلي رحلته إلى وهران برفقة زوجته.

- الاستقرار في وهران وحصولهما على مناصب عمل هناك.

- رزقه بتوأمين ومرض السمراء.

فمن الصعب أن نجد رواية تدور أحداثها في مكان واحد، لأن الحدث يفرض أن التنقل بين عدة أماكن التي بدورها تنوع الأحداث وتحركها فأحداث رواية حائط المبكى نجدها تتوزع في أماكن مختلفة تارة في الحديقة و البحر وتارة في الأحياء الفقيرة كحي الحمري، ودرج الحدادين وفي الفندق وفي المقاهي والمدن كمدينة تلمسان، وهران، مراكش، الدار البيضاء، الصويرة ولهاته الأمكنة على اختلافها تأثير على شخصيات الرواية.

فرواية حائط المبكى تشتمل على عدة أحداث نذكر منها الحدث الرئيسي والمتمثل في الجريمة التي راح ضحيتها فتاة في رعيان الشباب وكان شاهدا فيها مما سبب له قلق وخوف من المستقبل، بالإضافة إلى عشق الفنان التشكيلي للسمراء، والذي لمسناه طيلة أحداث الرواية، فالملاحظ أن الحدث حاضر في كل مكان تحل به الشخصية فالخوف والقلق الذي كان يعاني منه ساهم في تطوير الأحداث وبالتالي مساهمة هذا الأخير في تشكيل المكان" إن تنوع الأحداث الروائية في النص الروائي يقتضي تنوع الأماكن الروائية فيه." (3)

فالسارد جمع بين ثنائية المكان والحدث يقول السارد "أمارس في الرسم جنوبي الفني، أعزف الموسيقى أرقص أحيانا، أتحدى الحياة، أريد أن أحيائها بإيقاعي." (4) فمن خلال هذا القول نلاحظ بأنه هناك علاقة تلازمية بين (المكان، الحدث) علاقة قائمة بين المكان (الرسم) و الحدث الذي يتطور من مكان إلى آخر من رسم إلى عزف للموسيقى" فعلاقة المكان بالحدث القصصي علاقة تلازم أي صلة بين المكان والأحداث بمعزل عن الأمكنة التي تدور فيها." (5)

فقيمة المكان تكمن من خلال الأحداث التي تقع على مسرحه وهذا مجسد في قول السارد: " جلسنا وسط حديقة الصور، وقد حللتنا الدهشة ولم تكبت مشاعرنا، فمدت أصابعها إلي، شدت أصابعي

بجراحة. (6) فلولا وجود هذا المكان والممثل في الحديقة لما جرت الأحداث المتمثلة في رؤية السمرء ونظرات العشق التي جمعتهم.

3. علاقة المكان بالشخصية:

إنّ الشخصية عنصر أساسي من عناصر النص السردية حيث أن الشخصية "سائر العناصر القصصية تنتظم انطلاقاً منها." (7) ذلك لأنّها تتحرك داخل الرواية كقوة فاعلة ومؤثرة " فالبناء الفني لا يتشكل في النص إلا من خلال اختراق الأبطال له، هذا إلى جانب دوره في الكشف عن توجهات الشخصيات وأيديولوجيتها." (8) فلا يمكن أن تتصور أحداثاً تقع دون أن يشارك فيها شخص أو عدة أشخاص حيث "إنّ الشخصية الروائية هي التي تحدد طبيعة مكان ما واسمه من خلال ما تشعر به اتجاه هذا المكان." (9) فالمكان هو الذي يجدد تصنيف الشخصية وخصائصها داخل الرواية ومن خلال الرواية ذكر العديد من الشخصيات الرئيسية والثانوية في روايته، نذكر على رأسها الشخصية الرئيسة الأولى وهي " الفنان التشكيلي" والذي يقع في غرام فتاة سمرء تجمعها بها مدرسة الفنون الجميلة .

والملاحظ في الرواية أن الشخصية البطلة والمتمثلة في الفنان التشكيلي الذي يسرد كل مغامراته بداية من حبه للسمرء مروراً بالجريمة الشنعاء التي تعرضت لها الفتاة العشرينية والتي أصبحت بالنسبة له هاجساً يؤرق حياته ليل نهار، كما نجده يسرد لنا كل يومياته في مرسمه وعمله، كما نجده يتحدث عن الشخصية الثانية وهي السمرء التي يغرم بها من أول وهلة في حديقة مدرسة الفنون الجميلة فهو يصفها وصفاً دقيقاً بداية بشعرها الحالك وعيناها السوداوين وابتسامتها البريئة.

فالسارد يثبت بأنّ المكان لا يكتمل إلا بحضور الشخصية فكلاهما يؤثر في الآخر يقول السارد: " في حديقة الفنون الجميلة.... لمحتها تجلس وحيدة تحتضن محفظتها الزيتية." (10) فالقارئ لهذه الرواية يكتشف بأنّ هذه الشخصية لها حضور فعّال في الرواية، فالروائي أصبحت تشكل بالنسبة له هوساً، لا تفارق مخيلته إذ يقول: " ظلت ملامحها تحاصرني بشكل مدهش." (11)

ومن الشخصيات التي حضرت في العمل الروائي شخصية المجرم التي وصفها السارد وصفاً خارجياً يقول: " كان طويلاً مفتول العضلات، متناسق الملامح، أميل إلى البياض، كل ملابسه سوداء، قميصه

سرواله، جاكته." (12) فالكره الذي يملأ قلبه انتقاما من الأغنياء مجسد في لباسه الأسود جعله يرتكب تلك الجريمة الشنيعة بكل برودة أعصاب ومن الشخصيات الأخرى كذلك نجد والد الفتاة السمراء الذي كان حنوناً على ابنته، يائسا من مرضها، بالإضافة إلى التوأم الذي كان ثمره زواج السارد بسمرائه والذي زادا في تعلقهما ببعضهما.

إنّ الشيء الملاحظ والذي يلفت انتباهنا هو عدم ذكر أسماء الشخصيات عدا شخصية واحدة تمثلت في "صفي الدين" أو "صافو" كما ينادونه. فالعلاقة التي تجمع المكان بالشخصيات هي علاقة تكاملية فهما وجهان لعملة واحدة لا يستطيع أحدهما أن يستغني عن الآخر.

4. علاقة المكان بالزمن:

إنّ الزمن عنصر من العناصر السردية التي تقوم عليها الرواية، وهو يمثل الخط السردية الذي تسير عليه الأحداث حيث أن "العلاقة التي تربط الزمان بالمكان علاقة تكامل وتوحد، إذ لا وجود لأحدهما دون الآخر، وبما أمهما متلاحمان، فإن كل واحد منهما يدل على الآخر ويحدده." (13) فالرواية لا بد لها من حدث وكل حدث متعلق بالزمان والمكان فمن خلال العودة إلى الرواية نجد تلك العلاقة التكاملية التي تجمع فيها الزمان بالمكان يقول السارد "سنوات عشر ظللت أتردد فيها على هذا المكان." (14) فقد أراد السارد أن يبين لنا من خلالها المدة الزمنية ومدى تعلقها بالمكان.

كما اعتمد جلاوجي على فصل الخريف يقول: "ذات خريف ماطر كنت أقف عند قارعة الطريق... لكن غزارة الأمطار وزحف العشية التي شرعت تطارد نور الشمس." (15) فالروائي يحرص على ربط كل لحظة وكل مشهد من مشاهد روايته بمكان وزمان في قوله: "قبل شروق الشمس ذاع خبر الجريمة في كل أرجاء المدينة، فكرت في أن أزور مكان الجريمة ذاك المساء." (16) كما نجد بأن جلاوجي قد أدخل الأزمنة الثلاث في روايته بديلة بالماضي في قوله: "قضيت مساء يومي في تنظيف البيت وإعداده." (17)

كما نجد الحاضر في قوله "ولم أك قد بلغت العشرين بعد، لم يكن والدي يقضي وقتا طويلا معنا حين يعود إلى البيت في العطلة الأسبوعية." (18) بالإضافة إلى أن زمن الليل قد ذكر كثيرا في الرواية والذي يدل

على الطمأنينة والسكينة والسهر وهذا ما ورد في قوله: "عجلنا نعدّ أنفسنا لعشاء اللّيلة." (19) فالملاحظ بأن السارد يجد راحته آناء اللّيل في إبداعه ورسم أجمل اللّوحات الفنية.

5. خاتمة:

يعتبر المكان في رواية حائط المبكى أحد أهم العناصر التي بنيت عليها الرّواية وذلك من خلال توظيفه المتنوع من طرف الرّواي ذلك لأهميته البالغة، مما أكسبه علاقة وطيدة بالعناصر السردية الأخرى كالحادث والزّمان والشخصيات، فهو بمثابة ذلك الإطار العام الذي تتجمع فيه مشاهد وفقرات وحوارات الرّواية.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. سماح عبد الله أحمد الفران، النص النسوي- ومآزق النبوية "دراسة تحليلية" شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع الأردن، دط.
2. سهام السامرائي، رواية الأرض والتاريخ والهوية (قراءات في رواية "عمكا" لسعدي المالح، كلية التربية/ جامعة سامراء، العراق، ط1، 2015.
3. ضياء غني العبودي وآخر، الخبر في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار الحامد للنشر والتوزيع عمان الأردن. ط1، 2013.
4. عبد القادر أبو شريفة و آخر، تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط5، 2016 .
5. عز الدين جلاوحي، حائط المبكى، دار المنتهى، الجزائر، ط3، 2017.
6. فارس البيل، الرواية الخليجية قراءة في الأنساق الثقافية، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن دت، دط.
7. محمّد القاضي، تحليل النص السردى بين النظرية و التطبيق، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط2، 2003.
8. مرشد أحمد، البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ط1 2005.

9. نزيهة الخليلي، البناء الفني و دلالاته في الرواية العربية الحديثة، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2012.

7. الهوامش:

- 1- نزيهة الخليلي، البناء الفني و دلالاته في الرواية العربية الحديثة، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1 2012، ص61
- 2- عبد القادر أبو شريفة و آخر، تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط5، 2016، ص126 .
- 3- مرشد أحمد، البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ط1 2005، ص149.
- 4- عز الدين جلاوجي، حائط المبكى، دار المنتهى، الجزائر، ط3، 2017، ص8.
- 5- سهام السامرائي، رواية الأرض والتاريخ والهوية (قراءات في رواية "عمكا" لسعدي المالح، كلية التربية/ جامعة سامراء، العراق، ط2015، ص59.
- 6- عز الدين جلاوجي، حائط المبكى، ص26.
- 7- محمد القاضي، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط2، 2003 ص55.
- 8- ضياء غني العبودي و آخر، الخبر في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط2013، ص70.
- 9- سماح عبد الله أحمد القرآن، النص النسوي- ومأزق البنيوية "دراسة تحليلية" ، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع الأردن، دط، ص204.
- 10- عز الدين جلاوجي، حائط المبكى، ص27، ص7.
- 11- المصدر نفسه، ص18.
- 12- المصدر نفسه، ص18.
- 13- فارس توفيق البيل، الرواية الخليجية قراءة في الأنساق الثقافية، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، دط، ص213.
- 14- عز الدين جلاوجي، حائط المبكى، ص8.
- 15- المصدر نفسه، ص10.
- 16- المصدر نفسه، ص16.
- 17- عز الدين جلاوجي، حائط المبكى، ص25.
- 18- المصدر نفسه، ص28.